القصص القرآني

سلسلة لقاءات قدمت في رمضان 1439 هـ

إبراهيم عليه السّلام

أ. أناهيد السميري

اللّقاء التّاسع

مدونة علم ينتفع به

www.tafaregdroos.blogspot.com

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكنّ سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصّالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله عزّ وجلّ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله حمدا كثيرا طيّبا مُباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن اجتمع على كتابه فزاد إيمانا، واستقام في مَسْلَكِهِ فلقيَ ربّه وهو راضٍ عنه، اللّهمّ آمين.

مازلنا بفضل الله في الكلام حول إبراهيم عليه السّلام وما فضّله به ربّه، وقد مررنا على بعض المواطن في سورة البقرة، وكان مرورنا في سورة البقرة حول المواطن المشهورة الّتي حُكِيَت فيها قصّة إبراهيم عليه السّلام.

الفضائل المشتركة بين سورتي البقرة وآل عمران:

نقف أمام سورة آل عمران ونرى كيف أتت في هذه السّورة العظيمة أخبارًا عن إبراهيم عليه السّلام والثّناء عليه، خصوصا ونحن ننظر لهذه السّورة وهي الّتي تشارك سورة البقرة في الكثير من الفضائل:

١. فقد قال الرّسول في حقّ سورة البقرة وآل عمران: ((اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا))[١]

٢. وسورة البقرة وسورة آل عمران تجتمعان في تقرير الشّأن المهمّ وهو شأن التّوحيد، يعني: أصول الشّريعة المتمثّلة في التّوحيد، والنّبوّة، والمَعاد، والشّريعة العظيمة الّتي كلّها عدل، والّتي تبتدأ من عند {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}[٢] وتمرّ على: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}[٣] إلى أن نأتي إلى {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[٤] هذا كلّه نسمعه في سورة آل عمران كما سمعنا ما يشبهه في سورة البقرة.

١. فكما أنّ آية الكُرسي في سورة البقرة فيها: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}[٥] نجد مطلع سورة آل عمران ابتدأ بهذه الآيات وهذا المعنى العظيم.

٢. كما تكرّر في سورة البقرة الكلام عن الأنبياء وعن مكانتهم، كذلك أتى في سورة آل عمران.

---

[١] صحيح مسلم _ كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا _ بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ _ حديث رقم ١٣٩٠

[٢] [آل عمران: ٢]

[٣] [آل عمران: ١٨]

[٤] [آل عمران: ٣٣]

[٥] [البقرة: ٢٥٥]

٣. كما ذُكر في سورة البقرة الأحكام التّكليفيّة كالحجّ مثلا، ذُكر في آل عمران الحجّ فقال الله عزّ وجلّ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[٦]

٤. ذُكر الجهاد {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[٧]

٥. حتّى الآداب السّلوكيّة الّتي ورد ذكرها في سورة البقرة بالإجمال أتى أيضا ذكرها في سورة آل عمران من ذلك أنّ هذه السّورة العظيمة خُتمت بهذه الآية العظيمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٨]

لمحة عن سياق سورة آل عمران ومقاصدها:

لكن تختصّ سورة البقرة بأمور وتختصّ آل عمران بأمور، فقد شاع في سورة البقرة خطاب بني إسرائيل، وشاع في سورة آل عمران خطاب النّصارى، فكانت سورة آل عمران من مقاصدها الرّئيسيّة الّتي نزلت لأجلها مُجادَلة النّصارى فيما هم فيه من عقائد باطلة، فكان في السّورة نفي لشبهاتهم الّتي تعمّدوا إثارتها حول صحّة رسالة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ ومن ذلك أتت قصّة عيسى عليه السّلام وما أتى من القَصَصِ مُكمّلا للحقائق الّتي تنفي الولد والشّريك عن الله عزّ وجلّ وتستبعدها استبعادا كاملا، وتُظهر زيف هذه الشّبهة؛ وتبيّن أنّ عيسى إنّما هو من آل عمران من جهة أمّه، فيحصل بسطا لمولد مريم عليها السّلام، ومولد عيسى عليه السّلام، وبعثته، وأحداثه، بطريقة لا تدع مجالا لإثارة الشّبهة في بشريّته؛ فكان هذا هو المقصد الأساسي من السّورة والله أعلم.

في أثناء هذا المقصد أتى الكلام وتكرّر عن إبراهيم عليه السّلام، لأنّه في هذا المقصد ردّ الافتراءات خاصّة في مُجادَلة النّصارى، أتى الخبر عن الصّراع الدّائم بين أهل الإيمان والتّوحيد من جهة، وأهل الكُفر والشّرك من جهة؛ هذا الصّراع ما يفتر أبدا، ولا في أيّ زمان، مستمرّ ومتطوّر على حسب الأدوات في كلّ زمان، فأعداء الله يبذلون وسعهم وجهدهم في المكيدة وفي الخداع وفي الكذب من أجل لبس الحقّ بالباطل، وبثّ الرّيب والشّكوك في نفوس النّاس بدون مَلَلٍ ولا كَلَلٍ.

وفي المقابل السّورة بَصَّرَتْ المؤمنين بِحقيقة ما هم عليه من الحقّ، وحقيقة ما عليه أعداؤهم من الباطل، شرحت حال أعداء هذه الأمّة، فشرحت أخلاقهم، وشرحت أعمالهم، وشرحت نيّاتهم، وفضحت ما يصفون أنفسهم به من مظاهر العلم والمعرفة والتّقدّم.

---

[٦] [آل عمران: ٩٧]

[٧] [آل عمران: ١٦٩]

[٨] [آل عمران: ٢٠٠]

وهذا الصّراع الدّائم بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وأهل التّوحيد وأهل الشّرك، كما أظهرت السّورة حال أهل الكفر أظهرت السّورة أيضا حال أهل الإيمان، فعرضت جملة صالحة من أخبار النّخبة المختارة من البشر الّتي اصطفاها الله سبحانه وتعالى لأداء الرّسالة، وجَعَلَهَا ذرّيّة بعضها من بعض، وهنا أتى الكلام عن آل عمران، وأتى الكلام عن مريم، وأتى الكلام عن زكريّا، وأتى الكلام في كلّ هذا وتكرّر عن إبراهيم عليه السّلام.

ورد من الجهة الأخرى الكلام حول غزوة المسلمين _ عزوة أحد _ وما حصل فيها من تمحيص للنّفوس، وفحص للقلوب، وتمييز للصّفوف، وتحرير لكثير من الآفات الّتي يمكن أن تقع في النّفس: في التّفكير وفي السّلوك، وفي المشاعر، وبهذا يتميّز المنافقين من المؤمنين، وهذا موضوع آخر يحتاج إلى كثيرٍ من الوقوف أمامه لأنّ السّورة وصفت تماما سمات النّفاق، ووصفت تماما سمات الصّدق في القول والعمل وفي الشّعور، وفي السّلوك، وكيف حال أهل الإيمان وكيف أنّهم دائما في شدّة من شأنهم من الأعداء، من حالهم في التّعدّي على أهل الإيمان، لكن أعادت وزادت السّورة تقول:

- ✓ توكّلوا على الله وحده.
- ✓ استعدّوا بالعلم والعمل.
- ✓ أعداءكم لن يفتروا.
- ✓ الأمر لله وحده في النّصر والهزيمة، وفي الموت وفي الحياة، وفي كلّ أمر لكن هذا ابتلاء لابدّ منه في كلّ زمان.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يثبّتنا على الإيمان، وأن يُحيينا نحن وأبناءنا على الإيمان، وأن يقبضنا نحن وأبناءنا على الإيمان.

كيف أتى الخبر عن إبراهيم في سورة آل عمرن؟

سنذهب بعيدا عن مقصودنا في دراسة قصّة إبراهيم لكن كان لابدّ أن ندخل هذا المدخل حتّى نتصوّر كيف أتى الخبر هنا عن إبراهيم بصورة مختلفة عن الخبر الّذي أتى عنه صلّى الله عليه وسلّم في سورة البقرة.

هناك في سورة البقرة وقفنا على كثيرٍ من القَصَصِ عنه؛ بينما هنا شأننا مُختلف، فالشّأن هنا يتّصل بالأخبار.

نتوكّل على الله ونبتدئ بأوّل موطن ورد فيه الخبر عن إبراهيم عليه السّلام وهو في آل عمرن الآية ٣٣:

{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[٩]

[٩] [آل عمران: ٣٣]

هذا الخبر سيكون تقريبا في أوّل السّورة وهو مقدّمة للكلام عن امرأة عمران ونذرها، وما يأتي من قصّة مريم، فابتدأ الخبر بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} و{اصْطَفَى} بمعنى: اختار بالنّبوة:

- ✓ خلق الله سبحانه وتعالى آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلّمه أسماء كلّ شيء، وأسكنه الجنّة، ثم أهبطه منها؛ والأرض هي مسكنه، لكنّه نزل إلى الأرض بعد أن ظهرت له حقائق، وابْتُلِيَ في الجنّة بالابتلاءات.
- ✓ واصطفى نوحا فجعله أوّل رسول إلى أهل الأرض لمّا عَبَدَ النّاس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا، وقصّته مشهورة في أنّ الله نجّاه ونجّى من اتبعه في السّفينة، وأغرق من عصاه.
- ✓ واصطفى أيضا آل إبراهيم يعني عشيرته وذوي قُرباه وهم إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما.
- ✓ إلى أن نصل إلى نبيّنا صلى الله عليه وسلّم واصطفاء نبيّنا صلى الله عليه وسلّم أمر مفهوم من باب الأوّليّة، يعني كأنّه لم يُذكر لكمال شُهرة أمره في الخُلّة وكأنّه قيل: النّبيّ صلى الله عليه وسلّم إمام الأنبياء، وأُشير إليه أيضا من جهة أخرى، كَوْنَ اصطفاء آل إبراهيم بدعوته بقوله كما مرّ معنا: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ} ونحن قد مرّ معنا أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: ((وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ))[١١]
- ✓ واصطفى آل عمران، يعني: جعل من آل عمران خاصّة عيسى عليه الصّلاة والسّلام الّذي قد أُوتِيَ البَيّنات، وأُيّد بروح القُدُسِ؛ والّذي يظهر من الآيات أنّ عمران هو والد مريم أمّ عيسى عليهما السّلام، فالمقصود في هذه الآية تقرير المكانة العظيمة لإبراهيم عليه السّلام، حيث أنّه قد رُفع هذه المنزلة ولمّا ننظر في الآيات من حيث السّياق سيتبيّن شأن عظيم للكلام حول الاصطفاء، يعني: الآية ٣٣ الّتي هي موضوع الدّراسة قد أخبرت بخبر مهمّ وهو أنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، تعرضنا لهذه الآية لأنّه فيها الخبر عن اصطفاء إبراهيم؛ لمّا ننظر للسّياق سيتبيّن لنا حقيق مسألة الاصطفاء فلو نظرنا في الآية ٣١ لمّا يأتي البر عن رسولنا الكريم ويقال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[٢] إذًا يحب المؤمنين، فإذا كنتم تحبّون الله وكنتم تريدون أن يحببكم الله، اتّبعوني.

---

[١] [البقرة: ١٢٩]

[١] مسند أحمد ابن حنبل _ مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ _ حَدِيثُ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ حديث رقم ١٦٨٩٣

(مرّ معنا باللّقاء الخامس ص٤)

[١] [آل عمران: ٣١_٣٢]

إذًا ماذا تقرّر معنا؟ تقرّر معنا أنّ محبّته لا تتمّ إلاّ بمتابعة الرُّسُلِ. فهذا يُشير إلى علوّ درجة الرُّسُلِ، فكانت الإشارة للنّبيّ صلى الله عليه وسلّم ثمّ أتت الإشارة إلى كلّ الأنبياء حيث كانت من سنّة الله أن يصطفيهم؛ فإذَا اصطفاهم وعلاّ درجاتهم وشرّف مناصبهم، كان الواجب عليك أن تحبّهم من حبّك لله، وأن تُتابعهم إن كان قصدك محبّة الله ورضا الله.

ولنتأمّل {اصْطَفَى} في اللّغة بمعنى: اختار، فإنّ اصطفاهم بمعنى: أنّه جعلهم صَفوة خلقه.

وصَفوة خلقه هذه أيضا تحتاج إلى شيء من التّأمّل؛ فالآن لو نظرنا إلى الأشياء ورأينا أشياء فيها كدر، ورأينا أشياء صافية، فالفرق بينهم أنّ الأشياء صافية نقيّة من الكَدَرِ، فمعنى ذلك أنّ هؤلاء أنقياء، فمعنى أنّ الله اصطفاهم يعني: صفّاهم من الصّفات الذّميمة، وزيّنهم بالخصال الحميدة.

فإذَا كانت هذه حالهم، وهو يحبّ منك أن تُتَابِعَهُمْ، فهو اصطفاهم سبحانه وتعالى وصفّاهم من الصّفات الذّميمة، وزيّنهم بالخصال الحميدة، فما هو موقفك الّذي من المفروض أن يكون منهم؟ لابدّ أن يكون موقفك مُتابعتهم، وهم قد أُعطوا من الكمال البشري ما يجعلك تجعلهم قُدوة أمامك، فهي نفوس قد كمّلها الله في الذّكاء، وفي الفطنة، وفي القوّة والاستعلاء على الشّهوات، فأرواحهم غاية في الصّفاء والشّرف، وأبدانهم غاية في النّقاء والطّهارة؛ ومثل هؤلاء هم القُدُوات، وهم من يُنظر إليهم، وهم من يُرفعوا ويُذكروا.

وهذا يجعلنا دائما نُراجع من هم المشهورون الّذين اشتُهِرَ ذِكْرُهُمْ عند المسلمين؟ لأنّها هذه هي أحد المقاييس الّتي تقيس بها عقول النّاس؛ فإن اشتهر أصحاب الأهواء! وأصحاب الشّهوات! والسّاقطين في كلّ شأن! وفي كلّ مصيبة وبَلوى! إن اشتهر هؤلاء! فالله المستعان

وإن اشتهر أهل العلم، والإيمان، والأنبياء الّذين اصطفاهم الله _ فالحمد لله _ ونحن لا نريد أن نيأس أبدا، لكن المقصود أنّه النّاظر إلى الواقع ما له إلاّ أن يقول على الدّنيا السّلام! هذا الّذي يقدر على قوله! لأنّ المشاهير عند النّاس هم أرذل النّاس، فحتّى أنّهم ليسوا من ضمن متوسّطي الأخلاق بل من أرذل النّاس _ الله يعيننا _

فالحلّ واضح، نجتهد جميعا _ والله يُسْمِعُ أصواتنا _ في نشر هؤلاء وسيرهم، فيكفينا في هذا المقام أن نسمع: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} فلابدّ أن يكون هذا الاصطفاء له مَنزلته في نُفوسنا، وننقله إلى غيرنا بإشهار هؤلاء: إبراهيم عليه السّلام وإسماعيل وإسحاق.

إذًا تبيّن لنا من السّياق أنّ هذ الاصطفاء مهمّ جدّا لأنّه من هنا يحصل لك الوصول إلى محبّة الله، ثمّ أنّ الله عزّ وجلّ قال: {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني: (ذَرِّيَّةً بَعْضُها مِن بَعْضٍ في التَّوْحِيدِ والإخْلاصِ والطّاعَةِ، ونَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ} وذَلِكَ بِسَبَبِ اشْتِراكِهِمْ في النِّفاقِ) [٤].

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} فالله عزّ وجلّ سميع لأقوال العباد، عليم بضمائرهم وأفعالهم، ويصطفي سبحانه وتعالى من خلقه من يعلم ما في قلبه، فالله أَعْلَمُ حيث يجعل رسالته.

وقد وُصفوا ـ إذَا بورك لنا في الوقت ـ ووصلنا إلى سورة الأنبياء سنسمع: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} المشكلة أنّ هذا الاصطفاء بَدل أن يكون سببا لأن يتمثّل النّاس ما كُمِّل به إبراهيم عليه السّلام وذُرّيّته والأنبياء الّذين ذُكِرُوا في كتاب الله؛ لا وإنّما جاء اليهود قالوا: (نَحْنُ مِن ولَدِ إبْراهِيمَ ومِن آلِ عِمْرانَ، فَنَحْنُ أبْناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ، والنَّصارى كانُوا يَقُولُونَ: المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ،) ؛ أو الّذي لم يقل هذا الأمر وإنّما قال: (نحن أبناء الله) يعني مثل ما قالوا اليهود ـ فالله عزّ وجلّ سميع وعليم ـ

وعلى هذا الفهم فممكن أن يُقال: أنّ الآية بأوّلها بَيَان لشرف للأنبياء، وآخرها تهديد لهؤلاء الكاذبين، الأفّاكين، الّذين يزعمون أنّهم أتباع للأنبياء، وهم في حقيقتهم مُجرّد متطفّلين، يريدون فقط أن يستفيدوا من نِسبَتهم! وهذا إن حصل من اليهود وحصل من النّصارى فإنّه يحصل حتّى من أمّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! فينسب النّاس أنفسهم إلى دينه لمُجرّد الفخر! وليس من وجه المتابعة! أو من وجه العمل!

فإذًا فهمنا من هذه الآية العظيمة أنّ هؤلاء اصطفاهم الله وأنّ هذا الاصطفاء جعلهم قُدُوات وكان الواجب لمن تابعهم أن يكون ممّن اعتنى بأخلاقهم وأحوالهم ليكون معهم وليس مجرّد دَعْوَى.

دعونا الآن نرى الآية ٦٥ في نفس السّورة، وهي قوله تعالى:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}

---

[١] [آل عمران: ٣٤]

[٢] [التّوبة: ٦٧]

[٣] مفاتيح الغيب ـ فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ـ تفسير الآية ٣٣ سورة آل عمران.

[٤] [الأنبياء: ٩٠]

[٥] مفاتيح الغيب ـ فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ـ تفسير الآية ٣٣ سورة آل عمران.

[٦] [آل عمران: ٦٥]

وهذا واضح جدّا في مُناسبته لِمَا سَبق، لأنّه نحن اتّفقنا كلّ واحدة من طَائِفَتَيْ اليهود والنّصارى ادّعت أنّ إبراهيم عليه السّلام كان على دينهم! فالله عزّ وجلّ في هذه الآية قد ردّ عليهم، وأَبَانَ بأنّ الملّة اليهوديّة والملّة النّصرانيّة أصلا كانت بعدهم! لكن كلامهم هذا هو من _ المِرَاء _ وقبل أن نتكلّم على دلالة هذه الآية على مكانة إبراهيم عليه السّلام، ننظر لها على أنّها منع الجدال بالباطل، فأنتم لابدّ أن تتصوّروا أنّ الجدل أصلاً حتّى لو كان في الحقّ مُدِحَ تَرْكُهُ، كما في الحديث: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا)) يعني: لا تتجادل إلاّ إذَا كانت المصلحة متأكّدة، وأيضا تُجَادل بالحُسنى وليس بالخُشُونة؛ وبالمناسبة فإنّ هذا من طبع اليهود والنّصارى _ مجرّد المُجادلة _

الآن يُفيدنا في فهم مكانة إبراهيم عليه السّلام النّظر إلى السّياق، فإنّ الخَبَرَ الّذي أتى في هذه الآية إنّما أتى بعد قوله تعالى:

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} ماهي هذه الكلمة السّواء؟ {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ} الّتي هي الدّعوة إلى التّوحيد {وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} فكأنّه يُقال: إبراهيم كان على دين الإسلام، وهذا هو دين الإسلام {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ} والإسلام كما مرّ معنا اسم لدين جميع الأنبياء؛ أخبر القرآن أنّ إبراهيم {كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا} والّذي يقول: (بأنّه ما كان مسلما وإنّما كان يهوديّا أو نصرانيّا) يُقال له: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} فتقولون بأنّه ليس مسلما!؟ {وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ} يعني: كيف تقولون أنّه يهوديّ أو نصرانيّ؟! وموسى عليه السّلام ما أتى إلاّ بعد يعقوب، أو ليعقوب لو تُنسب اليهوديّة لأبناء يعقوب، أو ابتداء من موسى؛ وهذا موضوع آخر في النّقاش.

المقصد أنّ كلّ هؤلاء من ذرّيّتي، والمسيح لم يكن موجودا في زمن إبراهيم، فأكيد عبادته لم تكن مَشْرُوعَةً في زمن إبراهيم، فعبادة المسيح مخالفة لملّة إبراهيم لا محالة، واليهود وما هم عليه من مُخالفةٍ للإسلام، فهم أيضا ليسوا على ملّة إبراهيم لأنّ موسى كما اتّفقنا أتى بعد إبراهيم.

فإذًا معنى هذا أنّ إبراهيم عليه السّلام لم يكن يهوديّا أو نصرانيّا، وإنّما كان على _ الإسلام _ والإسلام هنا بمعنى: الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطّاعة؛ وهذا بالضّبط ما كان عليه نبيّنا، ولذلك قيل: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ

---

[١] سنن أبي داوود _ كِتَاب الْأَدَبِ _ بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ _ حديث رقم ٤٢٣٠

[٢] [آل عمران: ٦٤]

[٣] [آل عمران: ٦٧]

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} يعني إلى قول مُعتدلٍ لا يميل لا إلى التّعطيل ولا إلى الشّرك، مُتَّفَقٌ عليه، ما فيه خلاف بين الرّسل فيه، وهو دين إبراهيم عليه السّلام الّذي تحاولون أن تَنْسِبُوا أنفسكم إليه.

إذًا الدّين الحقّ الّذي جاء به الأنبياء: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} فلا نرى إلاّ الله مُسْتَحِقًّا للعبادة ومن ثَمَّ نفرده بالعبادة؛ ولهذا لابدّ أن نؤكّد أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وأبينا إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم دَعَوَا إلى التّوحيد، والأنبياء بينهما وقبلهم دَعَوْا إلى التّوحيد، فأصبح التّوحيد هو دَعْوَة الرّسل، وأصبحت وظيفة الدُّعَاةِ على المَنابر، والمربّيّين في البيوت، أن يجعلوا التّوحيد هو غاية ما يدعون إليه، فلا تفتر ألسنتهم أَبَدًا عن توجيه من يُربُّون:

- ✓ إلى دعاء الله وحده.
- ✓ إلى سُؤال الله وحده.
- ✓ إلى طاعة الله وحده.
- ✓ إلى التّوكّل على الله وحده.
- ✓ إلى رجاء الله وحده.

فلا يعظّم المُربُّون أنفسهم! ولا يعظّم الأبناء أنفسهم! ولا يعظّم المجتمع قوّته! إنّما:

- ✓ القوّة بالله.
- ✓ والعمل لله.
- ✓ والمَقصد من وراء هذا كلّه رضا الله.

فَلاَ {يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} ولذلك في هذه الآية كان الأرباب مثلا: مثل المسيح، ومثل الأحبار، ومثل الرّهبان الّذين كانوا يُحلّون لهم ويُحرّمون؛ كما روى التّرمذي في موقف عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ})) فعديّ بن حاتم يقول للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم _ وهو كان على النّصرانيّة _ ((قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ))[٢] فبيّن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ هذه هي عبادتهم، بمعنى: أنّهم يَقبَلُونَ تحليل وتحريم الّذي يَستحسنه هؤلاء أحبارهم ورُهبانهم، فَيَقبَلُونَهُ بدون مستند شرعيّ.

[٢] جامع الترمذي _ أبواب تفسير القرآن _ باب: ومن سورة التوبة_ حديث رقم ٣١٦٧]

فإذًا المقصود في هذا الموقف كلّه، أن ننزّه أنفسنا في التّوحيد {فَإِن تَوَلَّوْا} عن هذه الكلمة السّواء المُتّفق عليها، فقولوا: {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ولمّا تقولوا هذه الكلمة قولوها تَبَعًا لأبيكم إبراهيم؛ فلا تنسوا أنّنا سمعنا في البقرة: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وهو وصّى بها إبراهيم قال: {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [٣]

فالآن ماذا نقول نحن إذا حصل وأنّهم {تَوَلَّوْا}؟ نقول مثل قُدْوَتِنَا: {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني: لَزِمَتْكُم الحُجَّة، ووجب عليكم أن تعترفوا بأنّنا مسلمون وأنتم لستم بمسلمين، يعني: اعترفوا بأنّكم كافرون. لماذا؟ لأنّكم اخترتم شيئا غير الإسلام، فهما طرفان: إمّا أن تكون مُسلما، ولن تكون مسلما إلاّ إذا عبدت الله وحده، ولم تُشرك به شيئا، ولم يتّخذ بعضكم بعضا أربابا.

فإذَا ما فعلتم هذا، بمعنى: عبدتم غير الله، واتّخذتم بعضكم بعضا أربابا، ماذا يكون وصفكم؟ يكون وصفكم بأنّكم كافرون؛ وهنا ليس هناك مجال للمجاملات {فَإِن تَوَلَّوْا} عن هذه الكلمة السّواء، فكونوا مُقْتَدِين بأبيكم إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} كونوا مُمْتَثِلِين لوصيّة إبراهيم: {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} فماذا تقولون؟ {اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} فإذَا قالوا: (لا لستم أنتم الّذين على دين إبراهيم، إنّما إبراهيم كان يهوديّا أو نصرانيّا) يعني: النّصارى يقولون: نصراني، واليهود يقولون: يهوديّ؛ فتأتي الآية الّتي هي موضوع الدّراسة: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ليس لديكم عقل حتّى تجادلوا مثل هذا الجدال المُحال.

ولذلك أتت الآية الّتي بعدها:

{هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

يعني: هؤلاء الأشخاص الحَمْقَى، بقيتم تُحاجّون في أمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وهذا لأنّه جاء ذكره في كتابهم، فبقوا يغيرون في اللّفظ والمعنى من أجل ألاّ يعترفوا بأنّه رسول الله! لكن لم يكفهم هذا! فإنّ المقصود من {لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ} يعني: فيما كان مكتوبا في كتابكم وبقيتم تتلاعبون فيه {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ} يعني: من أمر إبراهيم عليه السّلام، لأنّه إبراهيم عليه السّلام لم يُذكَر في كُتُبِهِمْ، بمعنى: أنّه سيأتي بعدهم أو عَبَدَ عبادتهم أو أيّ شيء من هذا، فالمعنى: أنّه لا يمكنكم التّغيير {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} _ الله المستعان _

يأتينا بعدها الموطن في ٦٥ مباشرة التّقرير الآن:

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

---

[٢] [البقرة: ١٣١]

[٢] [البقرة: ١٣٢]

[٢] [آل عمران: ٦٦]

يعني: ما كان إبراهيم يهوديّا كما ادّعى اليهود، ولا نصرانيّا كما ادّعى النّصارى، {وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا} وهذا مثلما سمعنا: {بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يعني: هم الّذين وقعوا في الشّرك، وهذا واضح من أحوالهم في[٧] كونهم جعلوا عُزَيْرًا ابن الله، وجعلوا المسيح ابن الله، فالله عزّ وجلّ يُكْذِبُهُمْ وَيَدْحَضُ حجّتهم، بإظهار حالهم من جهة توحيد الله، لأنّه هذه هي المسألة المهمّة، بمعنى: أنّه كيف يكون لهذه الأمّة قيمة؟ يكون لها قيمة على حسب عقيدتها؛ فاليهوديّة والنّصرانيّة على الحالة الّتي حرّفوها ليست على الحنيفيّة، وإبراهيم عليه السّلام على الحنيفيّة، والحنيفيّة مبدأها التّوحيد.

بل هم حتّى من افترائهم ـ من افتراء اليهوديّة والنّصرانيّة ـ في الكتب أنّهم خَلَّوْا كتبهم من فريضة الحجّ! فتصوّروا إلى أيّ درجة تَخَلَّوْا فيها عن ملّة إبراهيم! والله عزّ وجلّ ـ كما سيتبيّن في الآيات ـ قال: {ولله على الناس حج البيت {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} فهذا كان على النّاس كلّهم [٨]

المهم التّقرير هنا يُبيّن أنّ إبراهيم عليه السّلام هو موضوع المنازعة بين اليهوديّة والنّصرانيّة كما هو معلوم، وهو في الحقيقة ليس يهوديّا ولا نصرانيّا لأنّه أتى قبلهم، وإنّما دين الإسلام كما دين موسى عليه السّلام، وكما دين عيسى عليه السّلام.

{وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا} فالإسلام هو الحنيفيّة، {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يعني: نُفِيَ عن إبراهيم مُوافقة اليهودي ومُوافقة النّصرى ومُوافقة المشركين أيضا، وأُثبِت أنّه مسلم، وأنّ الله أمره أن يكون مسلما، وأن يكون حنيفيّا، وهذا ما أتى به نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، وكما ورد في سورة البقرة: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} فكلّ هذا تأكيد لنا على أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم إنّما هو على دين إبراهيم عليه السّلام الّذي هم يُعظّمونه.

والسّورة كما اتّفقنا ـ سورة آل عمران ـ فيها بيان لهذا الأمر المهمّ جدّا، ولذلك في آيات سابقة في الآية ٢٠ في أوّل آل عمران: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ} وهذا مثل ما سيأتي في سورة أنعام لـمّا نتدارس المُجادلة الّتي صارت بين إبراهيم عليه السّلام وبين قومه، سيقول إبراهيم عليه السّلام: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}

دعونا نقرّر هذه المسألة بوضوح:

---

[٧] [آل عمران: ٦٧]

[٨] [البقرة: ١٣٥]

[٩] [آل عمران: ٩٧]

[١٠] [آل عمران: ٢٠]

[١١] [الأنعام: ٧٩]

قُدوتنا نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وقُدوتنا إبراهيم عليه السّلام، قد جَاءَا بالتّوحيد، وأعلنا إعلانا لم يترك للشّرك مسلكًا فليس هناك مجال للغفلة عن هذا التّوحيد، وإبراهيم عليه السّلام ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم قد عظّما أوّل بيت وضع للنّاس، وفرضا على الناس حجّه، وأن يُعلنوا عنده تمام العبوديّة لله، وهذا واضح جدّا في سِيرَةِ إبراهيم عليه السّلام وواضح جدّا في سِيرَةِ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم.

فلابدّ أن يكون توحيد إبراهيم عليه السّلام نموذجًا تامّ الوضوح لأتباعه؛ أنظروا كيف أعلن تمام العبوديّة؟ {وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا} وكيف قال: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا} وكسّر الأصنام بيده، وأظهر الانقطاع لربّ العالمين، قال:[٢] {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} وقد رأينا أمس ونحن نَتَدَارَسُ كيف أنّه يتصدّى للمُحاجّة على وحدانيّة الله؟ وصفات الله؟ فقد قال فيما مرّ معنا من الآيات: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} فهذا تاريخ مجيد من التّوحيد فكيف في النّهاية يقولون أنّ إبرأهيم عَبَدَ المسيح؟ أو أنّ إبراهيم عَبَدَ عُزَيْرًا؟ أو على خُرافات اليهود؟

وإنّ أشبه النّاس بهؤلاء في الوقت المُعاصر هم الرّوافض، أهلكهم الله وسلّمنا من شرّهم، فإنّهم يدّعون أنّ الأنبياء كلّهم من أتباع الحُسَيْن! أو من أتباع أهل البيت! وغير هذا من الخُرافات! لكن هو نفس أسلوب التّفكير الّذي لا يحترم الأزمنة، والأمكنة، وتتابع العُصور، ولا يحترم الغاية الّتي من أجلها أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب.

فإذًا الآن مُتَبَيِّنٌ أنّ النّزاع كلّه هنا حول هذا الشّأن: فهو ليس يهوديّا ولا نصرانيّا ولا مشركا؛ فلا المشركين على ملّة إبراهيم، ولا اليهود على ملّة إبراهيم، ولا النّصارى على ملّة إبراهيم.

ننتقل إلى الآية ٨٤ في نفس السّورة وننظر إلى مُجمل معناها:

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[٥]

---

[٣] [الأنعام: ٨٠]

[٣] [البقرة: ١٢٨]

[٣] [الشّعراء: ٧٨_٨١]

[٣] [البقرة: ٢٥٨]

[٣] [آل عمران: ٨٤]

هذه الآية فيها اعتراف بالإيمان، وسيتبيّن هذا لمّا نرى الآيات المتقدّمة، لأنّه في الآيات السّابقة أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرّسول في الآية ٨١:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} فهذا ميثاق على النّبيّين، والميثاق أنّه عندما يأتيكم الرّسول مُصدّقا لما معكم، سيكون هذه هي حالكم معه: تؤمنون به، وتنصروه، فأقرّوا وأخذوا على ذلك العُهود.

فلمّا أتى الكلام عن أنّ الله أحذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرّسول الّذي يأتي مُصدّقا لما معهم، وصف الله عزّ وجلّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ} فأتى الأمر: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ} فخُوطب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهذا التّكليف، فهو مُصدّق لما معهم، ولاحظوا {قُلْ} و{آمَنَّا} فكأنّه يُقال: يعني: النّبيّ وأتباعه كلّهم مؤمنون، آمنّا بمن؟ آمنّا بالله، وهو رأس الإيمان، فأصل الإيمان بالنّبوّة الإيمان بالله.

{وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} فتضمّن هذا الإيمان بالرّسل والإيمان بالكتب، ومعنى هذا أنّه من لوازم المؤمنين: الإيمان بالرّسل، فكما أُخِذَ عَهْدٌ على الرّسل أن يؤمنوا بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أُخِذَ عَهْدٌ على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلى أمّته أن يؤمنوا بكلّ الرّسل، وكان على رأسهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الّذين هم أولاد يعقوب {وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} يعني: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كدأب اليهود والنّصارى وسنعود مرّة أخرى ونقول: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} يعني: مُنقادون، لا نتّخذ أربابا، وهذا خطاب للرّسول صلّى الله عليه وسلّم وخطاب لأمّته.

هذا ما تيسر في النّظر في سورة آل عمران في الكلام عن مكانة إبراهيم عليه السّلام، وكيف ينظر له أتباعه؟ وكيف يؤمنون؟ ويصدّقون؟ ويتبعون؟ وهم مسلمون مثل رسولهم صلّى الله عليه وسلّم، ومثل إبراهيم أبو الأنبياء صلّى الله عليه وسلّم.

فلمّا نجمع في الشّهادة بين نبيّنا وبين إبراهيم عليه السّلام، من أهمّ الأمور الّتي نستظهرها أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وإبراهيم صلّى الله عليه وسلّم على الملّة الحنيفيّة، لا شرك فيها ولا ميل.

نسأل الله عزّ جلّ أن يُحيينا نحن وأبناؤنا على الإسلام، وأن يُميتنا على الإسلام، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

[٣] [آل عمران: ٨١]